التربية والعملية التعليمية ومكوناتها وعوامل نجاحها.

وبعض المواد الرئيسة لإحراز التفوق والتميز.

Education, the educational process, its components and success factors. And some of the main materials to achieve excellence and distinction

أ.د محمد الصالح جدي[1]

جامعة الجزائر Sm.djeddi@gmail.com

الاستلام: 30- 05-2023 القبول: 01-10-2023

الملخص:

التربية ودورها الرئيس في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعناصر الرئيسة للعملية التعليمية وعوامل نجاحها المتصلة بالمتعلم والعوامل الأخرى ذات الصلة بالمنهاج الدراسي والمواد الدراسية الاستراتيجية التي سميتها المواد المفتاحية التي تجعل المتعلم مكتسبا للأسس المتينة التي تضمن تفوقه وتميزه في مختلف المراحل الدراسية اللاحقة سواء تعلق الامر بالتخصصات العلمية والتكنولوجية والهندسية وعلوم المعلوماتية والالية او في مجالات العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير والعلوم الإنسانية والاجتماعية والاعلام والاتصال والسياسة.

كلمات مفتاحية: التربية، العملية،التعلمية، التفوق، التميز،.

Abstract:

Education and its main role in the economic and social development, and the main elements of the educational process and its success factors in relation to students and the other factors that are related to the curriculum and the strategic subjects, Which I have named as the key subjects. These subjects that makes students acquire the basic elements that helps them in the following educational stages. These basic elements will help students if they choose either the scientific, technological specialties, engineering and

[1]- **المؤلف المراسل:** أ.د محمد الصالح جدي ، **الإيميل:** Sm.djeddi@gmail.com

architecture, computing or in the economicsand trade field or in the field **of** humanities and social sciences. In addition to media, communication and politics.
Keywords: Education;the educational; excellence; distinction.

مقدمة

إن المواد الدراسية المقررة في مختلف الأنشطة التعليمية في كل المراحل الدراسية في السلم التعليمي الجزائري هي التي تتضمن المهارات والكفاءات والخبرات التي تتوق المنظومة التربوية لإكسابها للمتعلمين لتكون لديهم سلوكات اجتماعية وأنماط تفكير علمية تتبلور في شكل أداء وانجاز وحل للإشكالات التي يواجهونها في تفاعلهم مع محيطهم الاجتماعي والاقتصادي والثقافيوهي المحددة لملمح المتعلمين في نهاية كل مرحلة تعليمية.

ونظرا للأهمية البالغة للمناهج الدراسية بصفة عامة والمقررات الدراسية في مختلف الأنشطة التعليمية بصفة خاصة في وضعها الشمولي ,الا ان الدراسات التربوية تشير الى مقررات دراسية بعينها تشكل ركائز رئيسية في كل مرحلة من مراحل الدراسة في السلم التعليمي خاصة في المرحلة القاعدية للمنظومة الوطنية للتربية والتكوين وهي مرحلة التعليم الابتدائي ,هذه المرحلة التي تحتضن اكبر كم من عدد المتعلمين واكبر عدد من حيث عدد الأساتذة والمعلمين والمؤطرين الاداريين والمشرفين التربويين وهذا ما يؤشر لضرورة إيلاء هذه المرحلة من مراحل السلم التعليمي الأهمية الفائقة من حيث التركيز على دراسة واقعها من طرف الباحثين في مجالات العلوم الاجتماعية النفسية والتربوية.

الإشكالية

إن المواد الدراسية على اختلاف أهميتها من حيث الجوانب التي تستهدف تنميتها وتطويرها لدى المتعلمين والكفاءات والخبرات والمعارف والمهارات المراد تحقيقها وتمكين المتعلم منها خاصة في إطار النظرة الشمولية لا يمكن اغفال أي منها الا ان هذه المواد الدراسية في مختلف المراحل الدراسية من السلم التعليمي، لا يمكن في نظري ان تتساوى من حيث الأهمية في مرحلة ما قبل المدرسة او ما يسمى بالتربية التحضيرية وفي مرحلة التعليم الابتدائي حيث نحصي عدد الانشطة التربوية في هاتين المرحلتين في مجموعة من الأنشطة موزعة على مواد هي : التربية الإسلامية والمدنية، مبادئ القراءة والكتابة والتعبير الشفوي والتواصل إضافة الى مواد الايقاظ العلمية المتصلة بالوسط الفيزيائي والبيولوجي والتكنولوجي ومواد أخرى

تهدف لتنمية الذوقوالإحساس كالموسيقى والأناشيد. وهي نفسها الأنشطة التربوية في مرحلة التعليم الابتدائي مع التدرج في الارتقاء بمضامينها من السنة الأولى وحتى السنة الخامسة ابتدائي

إن هذه الانشطة التربوية كل منها له أهميته وأهدافه التي يراد تحقيقها وتجسيدها لتتحول كسلوك لدى المتعلمين في بعض الجوانب وتنمية وتطوير مكتسباتهم للمهارات والكفاءات والمعارف في جوانب أخرى اجتماعية واقتصادية وثقافية وعلمية. ولا شك ان واضعي هذه البرامج الدراسية يكون قد راعوا في ذلك عدة أسس تبنى عليها المناهج الدراسية بصفة عامة. ولعل أهمها الأسس النفسية للمتعلمين والأسس الثقافية للمجتمع المحلي وغير ذلك. دون اغفال الانفتاح على ثقافة وحضارة المجتمعات الأخرى وكل مجالات المعارف والعلوم والتقنيات حيث ينبغي وضع أسس التعامل معها بما يعزز ويقوي المنظومة الوطنية للتربية والتكوين في مختلف المجالات وفي ذات الوقت يحافظ على تميزها وتفردها. بما يحقق لدى المتعلمين فيها الشخصية الوطنية المتميزة. ذلك ان المنهاج الدراسي بمفهومه الواسع ينبغي ان يتضمن وضع وحياة المجتمع في واقعه الراهن بما فيه من عوائق ومشكلات ونجاحات وعراقيل وآمال وطموحات في كل مناحي ابعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي ذات الوقت ينبغي ان تتضمن المناهج الدراسية أدوات وسبل حل الإشكالات وتعزيز النجاحات واستمرارها وتحقيق الطموحات والآمال بما تحتويه من معارف ومهارات وخبرات تجسدها لدى المتعلمين. ولعل هذا ما جعل المنظرين للفلسفة البراغماتية والاتجاه النفعي في التربية من أمثال ويليام جيمس William James وجون دوي John Dewey وهما من ركائز الفكر البراغماتي في التربية يرون «ان التربية هي الحياة، وان من واجب المؤسسة التعليمية كمؤسسة تربوية ان تستخدم مواقف الحياة في العملية التربوية لهذا يؤمن هؤلاء بمبدأ التعليم عن طريق العمل Learning by doing وان الخطة التعليمية يجب ان تبنى على المواقف الحياتية وحاجات المتعلم الفعلية، كما ينبغي ان يشارك في وضعها، المتعلمون والمعلمون وأولياء الأمور وكل من لهم صلة بالعملية التعليمية والتربوية وان تعتمد على منهج النشاط وحل المشكلات»(فالوقيمحمد هاشم ، 1991، ص 97-98).

يرى جون ديوي John Deweyالذي يعتبر من رواد الفلسفة التربوية البراغماتية التي تعتبر ان التعلم يتم عن طريق تفاعل التلميذ مع بيئته. وقد أكد جون ديوي ان التعلم يكون فعالا إذا تفاعل التلميذ مع بيئته او محيطه وان تتاح الفرصة للمتعلم بان يكتشف محيطه ونفس الامر ينطبق على الأساتذة والمعلمين، فالمعلم في إطار الفلسفة التربوية البراغماتية يلعب دورا فعالا حيث انه يوجه تلاميذه ويمنحهم

الحرية والفرصة لاكتشاف محيطهم واختيار أفضل الطرق التي تساعدهم عل اكتساب وتطبيق المعرفة (1899, p35 John; Dewey).

ويؤكد جون ديوي John Deweyعلى الدور الهام للمحيط في تطوير المكتسبات والمهارات القبلية للمتعلم. ويعرف ديوي المحيط الاجتماعي على انه يتضمن مجموعة النشاطات التي يقوم بها كل فرد والتي بدورها ترتبط بإنجاز مهام كل عضو من أعضائها، والتي لها دور فعال من الجانب التربوي والتعليمي حيثأن المتعلم تصبح لديه القدرة على البحث والاكتشاف واكتساب المعرفة. كما يعتبر جون ديوي ان التكوين العلمي للمتعلم يعتمد على مدى تفاعله مع افراد محيطه وانخراطه في الأنشطة الاجتماعية حيث ان التواصل يسهل على المتعلم تطوير قدراته ومهاراته وخبراته ويبين له قيمه الاجتماعية التي ينبغي اتباعها(John; Dewey.1983 , p40)

لذلك فالإشكالية التي تطرح من خلال المناهج الدراسية في وضعها الشمولي من ناحية وفي المواد الدراسية المقررة في مختلف الأنشطة التربوية والعلمية في البرنامج الدراسي في مرحلة التعليم الابتدائي قد تكون في التعارض الحاصل بين واقع المجتمع المحلي بكل ابعاده ومضامين هذه المواد الدراسية من جهة ومن جهة ثانية قد يكون هناك عدم توافق وتلاؤم محتوى هذه المواد الدراسية مع نضج المتعلمين ونمو مختلف قدراتهم الجسمية والنفسية والعقلية. مما يعيق تحقيق الأهداف المرجوة. وان التركيز على مرحلة التعليم الابتدائي كما سبق الذكر في المقدمة يعود أساسا لأهميتها الاستراتيجية كمرحلة قاعدية للمنظومة الوطنية للتربية والتكوين وان مخرجات هذه المرحلة هي مدخلات كل المراحل التعليمية اللاحقة. لذلك سنتناول هذه المسالة من خلال تحليل لمركبات العملية التعليمية والعوامل والشروط اللازمة للرفع من مستوى التحصيل الدراسي لدى المتعلمين من خلال عدة عناصر نرى انها ذات أهمية بالغة.

العملية التعليمية ومكوناتها:

إن العملية التعليمية مكوناتها الرئيسية عناصر ثلاث ذات أهمية بالغة وهي تتمثل أساسا في المعلم، المتعلم والمناهج الدراسية

إن المتعلم يشكل في العملية التعليمية العنصر الرئيسي لكونه المستهدف الاساسي من عملية التعلم وفي ذات الوقت فهو غايته ودونه يمكن للعملية التربوية ان تفقد مبرر وجودها تماما باعتبار المعلمين وكل التأطير البشري في المنظومة التربوية سواء كان تأطيرا تربويا بيداغوجيا او تأطيرا إداريا وتسييرا او تأطير تكويني للموارد البشرية كله يصب في خدمة المتعلم او التلميذ كما ان كل البناءات والتجهيزات التي توفرها

الدولة من بناءات مدرسية ومنشئات وتجهيزات تربوية من طباعة للكتب وتجهيز للمخابرواقتناء للوسائل التعليمية، كل ذلك لأجل خدمة المتعلم او التلميذ او الطالب في مراحل دراسية لاحقة، وان توفير كل هذه المستلزمات يتطلب نفقات مالية ضخمة وان هذه النفقات المالية لا بد ان يكون لها مردودا وهذا ما ادى الى ظهور ما يسمى باقتصاديات التعليم وطرح عدة إشكالات بخصوص مبرر هذه النفقات وهل هي استثمار له عائد ام انها نفقات لا جدوى منها، وقد انتهت جميع الدراسات بهذا الخصوص الى اعتبار التربية استثمارا له عائد وان كان ذلك ليس بصورة فورية باعتبار ان عملية تكوين الانسان عملية شاقة وتأخذ مداها في الزمان، فالتربية هي فن صناعة الانسان بما تنجزه من تنمية وتطوير لمختلف القدرات واكسابه من خلال ذلك المعارف العلمية والمهارات والكفاءات التي تؤهله لتولي المسؤوليات وأداء ما يسند اليه من مهام عملية او تسييرية في مختلف مواقع تواجده في عملية التنمية بنجاح وان يكون انسانا فاعلا منتجا في حركية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في أي موقع يوجد فيه.

«إن اكتساب الانسان للقدرات والمواهب يضاعف من انتاجه الاقتصادي، ان البشر يستخدمون مواهبهم وقدراتهم في تنظيم استهلاكهم وتنمية مواردهم، ان الاستثمار في البشرية يتغير بتغير مستوى البشر، ان هذا التغير هو الذي يفسر الكثير من مشاكل التغيير في التنمية الاقتصادية، ان التقدم الاقتصادي بسبب التربية يتوقف على مدى تجاوبها مع متطلبات سوق العمل، وان السوق يتطلب المواهب العالية...الخ»(عبده فليقفاروق، 2007، ص 70)

إن مثل هذا القول يجعل المنظومة التربوية في الجزائر ان تكون خادمة للمتعلم بكل مكوناتها ومستهدفة لتطوير وتنمية إمكاناته وقدراته وان توثق في ذات الوقت صلته بمحيطه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وان تضع أسس تفاعله الإيجابي بمتطلبات التنمية بما تمنحه العملية التعليمية للمتعلم من كفاءات ومهارات ومعارف علمية عالية لان التنافسية القائمة في العالم المعاصر بين مختلف المجتمعات هي حقيقة الامر تنافسية تقف خلفها المنظومات التربوية في هذه المجتمعات. بما ينجزه الافراد من ابداع وابتكار في مختلف مجالات العلوم التنقلية والعلمية والمعلوماتية والالية وكذا في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية الاتصالية وغير ذلك.

كما أن هناك كم هائل من المهتمين بمجال اقتصاديات التعليم من أشاروا الى أهمية التربية وضرورة معاملة الفعل التربوي كنشاط استثماري ومن هؤلاء ادم سميث Adem Smith والفريد مارشال Alfred Marshall ووليام بيتي William Betty

إلا أن العالم ليندبرجEricLundberg في تقديري هو الذي قدم بوضوح أهمية التعليم والتدريب واكتساب الخبرات في تأثيرها في الوضع من عمليات الإنتاج. لما اثبت من خلال دراساته « ان الانتاج يزيد مع مضي الوقت بالرغم من ثبات راس المال العادي» وقد أدى ما أثبته ليندبرجLundberg الى ضرورة البحث عن أسباب هذه الزيادة ومدى ما لها من علاقة بالتعليم والخبرة والتدريب، حيث توصل في ختام ابحاثه الى وجود علاقة بين هذه الزيادة وعوامل التعليم والتدريس والخبرة»(عبده فليقفاروق، 2007، ص 18).

وقد أكد ما انتهت اليه دراسات ليندبرج عالم اخر يعد من أكثر العلماء اهتماما باقتصاديات التعليم وتنمية الموارد البشرية وهو العالم شولتز T.W. Schultzحيث يعد من رواد قياس العائد الاقتصادي للتعليم فقد اتجه شولتز في ابحاثه الى فكرة الاستثمار في البشر مباشرة وبكل وضوح وتمكن من عرض هذه الثورة الجديدة ثورة الاستثمار البشري بكل تفصيل في كتابه «القيمة الاقتصادية للتربية»(عبده فليقفاروق، 2007، ص 19).

إن المعلم كعنصر رئيسي في العملية التربوية يؤدي دورا مركزيا فيها باعتباره يمثل الوسيط بين المتعلم والمناهج الدراسية وما تحتويه المقررات الدراسية في مختلف مجالات النشطة التربوية التي تجسد اهداف وغايات المنظومة التربوية الجزئية على مستوى كل سنة دراسية وكل مرحلة تعليمية من مراحل السلم التعليمي في الجزائر ،اما اجمالا فالمناهج الدراسية وما تتضمنه من مقررات دراسية في كل مرحلة تعليمية وما تسعى لإكسابه للمتعلمين من مهارات وكفاءات ومعارف وخبرات عبر كل متكامل يشمل طرائق التدريس وأنظمة التقييم وقياس النتائج فهي أداة تحقيق الأهداف والغايات الكبرى للمنظومة الوطنية للتربية والتكوين.

لذلك فالمعلم يقع على عاتقه فهم المتعلم او التعليم في وضعه النفسي والعقلي ونمو مختلف قدراته ونضجه الجسمي كما عليه ان يكون ملما بواقع المتعلمين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي هذا من جهة ،و من جهة ثانية عليه ان يكون متمتعا بمستوى عالي من التكوين العلمي ومتحكما في المقررات الدراسية ومتمكنا من طرائق التدريس ومختلف أساليب تبليغ المعرفة العلمية للمتعلمين وقادرا على استخدام كل المهارات ونظم التقييم للوقوف على مردودية نشاطه وهو يمارس الفعل التعليمي ذلك لكون التقويم التربوي للأداء في الموقف التعليمي ملازما لكل فعل او لكل نشاط تربوي.

فالمعلم بضرورة فهمه للمتعلم وتحكمه في المناهج الدراسية ومقرراتها يكون بذلك مركز العملية

التعليمية وحتى يكون كذلك فعملية تكوينه يجب ان تشمل ابعاد ثلاثة وهي بإيجاز:

- **البعد العلمي والأكاديمي:** ويلخص في سيطرته وتحكمه في المادة العلمية موضوع التخصص.
- **البعد التربوي:** ويلخص في معرفته للمتعلمين، في الجوانب النفسية والعقلية ونمو قدراتهم وضبط رغباتهم وميولتاهم وإدراك الفروق الفردية بينهم إضافة الى تمكنه من مختلف طرائق التدريس واساليبه واستخدامه لكل عمليات التقويم التربوي لتصبح أي امتلاك يظهر سواء ان كان ذلك في أداء المعلم ذاته او في قلة استيعاب المتعلمين او ضعف تحصيلهم وذلك كله لتدارك هذه الاختلالات وتحديد أسبابها لتطوير أدائه وتحسينه وبلوغ استيعاب المتعلمين للمضامين المعرفية المراد ايصالها لهم.
- **البعد الثقافي:** ان العملية التعليمية تؤدي دورها وهي في وسط اجتماعي وثقافي، وان لكل مجتمع خصوصياته العقيدية والقيمية والثقافية والحضارية والمدرسة مطالبة بان تستجيب لهذا الواقع بالتحديث والتطوير والتفاعل الإيجابي مع مكوناته لكون واقع المجتمع بأبعاده الاجتماعية والثقافية والحضارية يمثل الإطار المرجعي الذي ترتكز عليه المنظومة التربوية والعملية التعليمية بصفة خاصة.

إن هذه الابعاد الثلاث المهمة في عملية تكوين المعلمين واعدادهم لأداء مهامهم تشكل مجتمعة أساسا ضروريا لجعل المعلم وسيطا قادرا على افادة العملية التعليمية بإيجابية كبيرة، ذلك ان الفلسفات والنظريات التربوية على اختلافها سواء ان كانت الفلسفة التربوية المثالية او الفلسفة التربوية البراغماتية كلاهما تعطي للمعلم دورا رئيسيا في العملية التعليمية، فالفلسفة التربوية المثالية ترى ان المعلم« يمثل مركز الثقل في العملية التعليمية أي محور العملية التعليمية ليس لان المعلم هو كل شيء والتلاميذ لا شيء، ولكن لان المعلم يمثل مفتاح العملية التعليمية اكثر من أي عنصر اخر فيها»(حذيم محمد أحمد وآخرون ، 2002، ص 292).

الفلسفة التربوية المثالية والتي من روادها الأوائل، سقراط وافلاطون وكانط وغيرهم تميل كثيرا الى تغليب دور المعلم في العملية التربوية وتجعله الأكثر أهمية من محاورها الرئيسة الأخرى والتي هي أساسا المعلم والمناهج الدراسية، فالمعلم في إطار النظرية التربوية المثالية هو المحرك والمفعل لكل عناصر العملية التعليمية فعليه يقع عبء« ايقاظ الرغبة في تلاميذه للتعلم بحيث يجعل التدريس حقيقة –على حد قول هرما هورن– كما يجعل التعلم اكثر جاذبية واكثر تشويقا للتلاميذ راغبي التعلم بمعنى ان التعلم يكون افضل اذا انبعثت الرغبة من داخل التلاميذ وعلى المعلم ان يقوم بذلك ويزيد في التلاميذ الدافعية للإنجاز» (حذيم محمد أحمد واخرون ، 2002، ص 296).

إن عملية اكتساب المعارف والمهارات والخبرات بقدر ما يكون الدافع ذاتيا لدى المتعلم كلما كان ذلك من الحوافز المهمة للرفع من التحصيل الدراسي واستيعاب المادة التعليمية وتحويلها الى ممارسة وظيفية وسلوكية لدى المتعلم في تعامله مع محيطه الاقتصادي والاجتماعي وغير ذلك. —

أما بخصوص الفلسفة التربوية والنظرية التربوية البراغماتية، فهي وان كانت لا تهمل دور المعلم كفاعل رئيسي في العملية التربوية، فهي ترجح أكثر مركز المتعلم او التلميذ، ان هذه النظرية التربوية التي من روادها الأوائل هرقليطس، وتشارلز ساندرز بيرز ووليام جيمس وجون ديوي، فهؤلاء جميعا يرون ان المتعلم او التلميذ هو كيان إيجابي في العملية التعليمية، «فالفلسفة التربوية البراغماتية مثلها مثل أي فلسفة تربوية، اعتبرت المعلم العنصر الفعال في العملية التربوية. الا انها لم تجعل من المعلم محور للعملية التربوية دائما، وانما جعلت المتعلم المحور الأساسي في العملية التربوية...فالتربية في نظر البراغماتية هي توجيه الدافع والقدرات الفردية لا لتحقيق المثل بل نحو تحقيق حاجات الطفولة في البيئة

ونتيجة هذه التربية هي تخرج عقل قابل للتشكيل، نشيط منتج في جميع الأحوال والمواقف، يستطيع ان يبدع» (حذيم محمد أحمد وآخرون ، 2002، ص 304).

النضج والتعلم:

تشير كل معطيات علم نفس النمو وعلم النفس التربوي على حد سواء الى ان للنضج علاقة وثيقة بكل عمليات التعلم فلا يمكن لاي نشاط او تدريب ان يتم من طرف المتعلم الا اذا كان ذلك مقترنا بعملية النضج بصرف النظر ان يكون النضج جسميا او عقليا او حسيا او حركيا ،فالطفل الذي عمره سنتان لا يستطيع ركوب الدراجة واستخدامها لان الأعضاء الجسمية المسؤولة عن الأداء يكون نضجها غير مكتمل كقوة الذراعين والارجل والتوازن عند الركوب والاستخدام ومثل هذا الامر ينطبق تماما عن سائر عمليات النضج الأخرى سواء ان كانت عقلية او حسية او حركية او انفعالية او نفسية وكل عمليات التعلم المتصلة بذلك.

ان الطفل قبل الدخول الى المدرسة عليه ان يتهيأ لذلك والوسط الوحيد الذي له أهمية بالغة في ضمان استعداده هو الوسط الاسري «فلا بد للطفل لكي يتمكن فيما بعد من تحقيق كامل طاقاته الكامنة ان ينجز منذ ولادته الى بداية فترة الدراسة الإلزامية «خمس او ست سنوات» جملة من الاعمال الضرورية لنموه الوجداني والعقلي والجسدي ،و يرجع الكثير من مكتسباته مثل الزحف والمشي الى نضج فسيولوجي على وجه الخصوص ،في حين ان مكتسبات أخرى مثل تعلم الكلام، تكون نتيجة للنضج

أيضا لكن بمفعول مثيرات اجتماعية ،فكل مظهر من مظاهر نمو الطفل الصغير ،و كل واحد من مكتسباته الجديدة يتأثر بمواقف الأشخاص المحيطين به ويمكن لعملية النمو ان تسهل بطرق شتى تكون لها تأثيرات متنوعة كذلك على ردود فعله إزاء غيره وعلى كامل حياته مستقبلا» (المنظمة العربية للتربية والثقافة، 1987، ص 169).

إن أهمية النضج في جعل عمليات التعلم ممكنة مهما كانت طبيعة النشاط التعلمي تبرز بجلاء كأساس متين ترتكز عليه كل عمليات التعلم عند الاطفال، وان عمليات اكتساب المعارف والمهارات والخبرات لا يمكن ان تأتي في بعض الجوانب، ان لم يكن في كلها، الا بالنضج الجسمي لان لكل نشاط تعلمي يقوم به الطفل او يراد تعليمه إياه مجموعة من الأجهزة المسؤولة على جعل ذلك النشاط ممكنا ودون ان تكون تلك الأجهزة قد بلغت درجة النضج الممكنة فلا يمكن لذلك النشاط التعلمي ان يتم. فكل الأنشطة التعلمية المكتسبة او غيرها بفعل المثيرات الاجتماعية للبيئة المحيطة بالطفل والمحتضنة له لا يمكن ان تتجسد الا بتحقيق عملية النضج في مختلف القدرات الجسمية والعقلية والحسية والحركية التي تقف وراء ذلك.

ان التركيز على هذه المرحلة «ما قبل المدرسة» وعلى النضج وعلاقته بالتعلم هي من الإشكالات التي حازت اهتمام المختصين في علم النفس التربوي وعلم نفس النمو والمربين بالنظر لأنها مرحلة أساسية في نمو قدرات الطفل المختلفة ومرحلة تبدأ مع بلوغ الطفل سن الثالثة والرابعة وابتعاده تدريجيا من التمركز حول الذات الى بداية اكتشاف البيئة المحيطة به، وهذه المرحلة تعد أساسية في اكسابه الكثير من السلوكات والمهارات التي تتوافق مع تمو إمكاناته وتسهل له الاندماج الاجتماعي «فالمعلمة يمكنها ان تقدم للطفل مناسبات للتعلم الاجتماعي ،بل كذلك ان تساعده بطريقة نشيطة على المرور من التمركز على الذات الى نشاطات تشارك وتعاون تسيرها قواعد مشتركة مفهومة ومقبولة عن طواعية ،كما ان تعاليق المعلمة وردود فعلها اتجاه السلوك الاجتماعي للطفل وطريقتها في تشجيع التعاون ونكران الذات او في حل الخلافات ،و كذلك استحسانها وعتابها وحتى الأسئلة التي تطرحها تساهم في تكوين تلاميذها وتعديل سلوكهم كما يمكن للمعلمة زيادة على التجربة الاجتماعية الملموسة والموجهة التي يكتسبها الأطفال تحت اشراف المعلمة... ات تساعده على الاستئناس بأصناف مختلفة من الأشخاص او الأشياء المجهولة لديهم...» (المنظمة العربية للتربية والثقافة، 1987، ص 169)

ان الطفل في سنواته الأولى من ميلاده وحتى ولوجه المدرسة الابتدائية في سن الخامسة او السادسة من العمر يكون نموه من مختلف الجوانب نموا متسارعا سواء ان كان ذلك جسميا او عقليا او حركيا او انفعاليا او وجدانيا، وهذا يجعله سريع الاكتساب للسلوكات والمهارات والمعارف، وعلى الكبار والمربين استثمار هذه المعطيات لإكساب الطفال في سن مبكرة السلوكات القويمة التي تؤسس لتوجيههم التوجيه الملائم في المراحل العمرية اللاحقة. ان العناية ينبغي ان تبدا بصفة مبكرة ،و هذا ما حفز الباحثين في علوم التربية الى ضرورة استثمار وتوظيف معطيات هذه المرحلة المبكرة من عمر الطفل في الرفع من درجة الاكتساب والتعلم لدى الأطفال ،كما ان التأسيس للنجاح يجب ان يكون في المرحلة الدراسية الابتدائية من مراحل السلم التعليمي في المنظومة التربوية الجزائرية انه اذا عانى المتعلمين في هذه المرحلة من الضعف في التحصيل الدراسي في مختلف الأنشطة التربوية ،فان ذلك الضعف يظل ملازما لهم في المراحل الدراسية اللاحقة وقد يصعب استدراكه لان هذه المرحلة هي المرحلة الدراسية التي يكون فيها المتعلمين اكثر تقبلا للاكتساب والتحصيل.

التعلم والفروق الفردية بين المتعلمين:

ان المتعلمين من التلاميذ او الطلاب في أي مرحلة من مراحل الدراسة في السلم التعليمي انطلاقا من التعليم التحضيري ومرحلة التعليم الابتدائي ثم صعودا الى مرحلة التعليم المتوسط فالثانوي وانتهاء بمرحلة التعليم العالي لا يمكن ان يكونوا ابدا متساوون في قدراتهم العقلية وميولاتهم ورغباتهم، فكل مستوى من القدرات يختلف عن الاخر سواء ان تعلق الامر بالجوانب الجسمية او النفسية او العقلية، ويتبع ذلك من قدرات كالتذكر والانتباه والادراك والإحساس. وهي كلها من العمليات العقلية العليا. فهي عمليات يحدث فيها تباين كبير بين الافراد وبين التلاميذ والطلاب المتعلمين وان نسبة التفاوت في هذه القدرات تتزايد او تتناقص بين هؤلاء، وهذا ما جعل«دريفرDrever يعرف الفروق الفردية بانها الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة» (سيد خير الله، 1981، ص 310).

ان هذا التعريف يبرز ان كل تلميذ او طالب يتمتع بكل القدرات سواء ان كانت جسمية او نفسية حسية او حركية ،و كذلك القدرات العقلية وما ينبثق عنها من قدرات مختلفة كالتذكر والادراك والإحساس والتخيل... الا ان الاختلاف بين التلاميذ او الطلاب هو في مستوى امتلاك كل فرد لقدر من هذه القدرات يختلف عن الاخرين سواء ان كان ذلك بالزيادة او النقصان ،و ان مثل هذا الاختلاف في مستوى القدرات الفردية بين المتعلمين هو الذي يجعل مستوى التحصيل الدراسي والاستيعاب بينهم مختلفا

،فالذي تكون عنده هذه القدرات عالية جدا يكون مستوى تحصيله الدراسي مرتفعا وقدرته على استيعاب المعارف العلمية والمهارات والخبرات مرتفعة اذا ما قورن بأقرانه من الذين تكون قدراتهم الفردية منخفضة. فالقدرات الفردية بين المتعلمين هي التي تصنع الفارق عندهم في التحصيل الدراسي واكتساب واستيعاب المعارف العلمية وكل المهارات مما ينتج عنه تباين في الأداء والإنجاز بين المتعلمين. لذلك أولى العلماء والمشتغلين في مجال علوم التربية أهمية كبيرة لمسالة الفروق الفردية بين المتعلمين وضرورة ايلائها العناية الفائقة في المواقف التعلمية اثناء إدارة الصفوف التربوية. وعدم اغفال ذلك في عملية التقويم والتقييم تربويين باعتبار التقويم والتقييم التربوي ملازما للفعل التعلمي اثناء كل نشاط تربوي صفي.

ان الفروق الفردية بين المتعلمين لا يمكن ان تقود الى الفهم بان هناك افراد منعدمة عندهم القدرات الجسمية والحركية والنفسية والعقلية تماما. بل ان لكل انسان مهما كان ولكل متعلم مستوى من القدرات لكن الناس يختلفون في مستوى امتلاك القدرات بينهم «فالفروق الفردية بين المتعلمين هي فروق كمية وليست نوعية ،أي ان الفرق بين شخص واخر لا يعني ان احدهما لديه قدرات لا تتوافر بالمرة في الشخص الاخر ،و لكنها تعني ان جميع هذه القدرات متوافرة في كل فرد وان الفرق ينحصر في مقدار توافر القدرة او السمة في كل فرد ،و معنى ذلك انه لا يمكن تقسيم الافراد بالنسبة لأية قدرة او سمة نفسية تقسيما ثنائيا حادا»(سيد خير الله، 1981، ص 212)، ان هذا يمتلك تلك القدرة وان الاخر لا يمتلك أي قدر منها فكل الافراد مشتركون في امتلاك مختلف القدرات لكن الاختلاف قائم بين مستوى امتلاك كل واحد منها لهذه القدرات بالزيادة والارتفاع او النقصان والانخفاض. لذلك يرى المربيون ان أهمية كبيرة ينبغي ان يوليها المعلم او المربي في الموقف التعليمي لمراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ والطلاب وحتى يستطيع ان يرسخ المعارف العلمية والمهارات والخبرات التي ينقلها من خلال المقررات الدراسية في اذهان المتعلمين كل حسب إمكاناته وكل حسب قدراته. لذلك ظلت مسالة الفروق الفردية تحوز اهتماما بالغا من طرف كل المهتمين بالعملية التعليمية، ومن العوامل الرئيسية التي ينبغي التركيز عليها في المواقف التعليمية التدريسية فالفروق الفردية بين المتعلمين ان استطاع المعلمين ادراكها وتصنيف المتعلمين لديهم على أساسها في كل صف تربوي، فانهم يستطيعون عن طريق توظيف تصنيف المعلمين من خلال الفروق الفردية بينهم الى الارتقاء بمستوى استيعابهم وتحصيلهم الدراسي والتدرج بهم من المستوى التحصيلي الضعيف الى المستوى المتوسط ثم الحسن وهكذا حتى البلوغ ببعضهم الى مستوى الامتياز.

ان الاختلاف بين المتعلمين في الفروق الفردية او الاختلاف في ذلك بين الأشخاص عموما مسالة طرحت بقوة من طرف الباحثين والمهتمين بهذا الجانب من المختصين في علم النفس التربوي وعلوم التربية ،و اوعز هؤلاء التباين في الفروق الفردية بين المتعلمين الى عاملين رئيسيين هما «عامل البيئة وتأثيرها والعوامل الوراثية وتأثيرها غير ان الاتجاه القائم بين علماء النفس ،هو ان خصائص السلوك الإنساني وطبيعة سماته وقدراته لا ترجع الى عوامل الوراثة وحدها او الى عوامل البيئة وحدها ،و انما ترجع الى التفاعل بين هذين العاملين فكل منهما يساعد الاخر ويكمله ،فالاستعدادات الفطرية الوراثية لا يمكن ان تظهر ويتضح اصرها بدون عوامل البيئة»(سيد خير الله، 1981، ص 315).

ان التركيز الدائم على مرحلة التعليم الابتدائي في جل المنظومات التربوية في العالم وفي الجزائر بالخصوص من طرف الباحثين في العلوم التربوية والنفسية والمهتمين بتحديث وتطوير العملية التعليمية وضمان انتاجها لمخرجات تكون تتمتع بمستوى من الكفاءة والمقدرة يتيح لها إمكانية الاستمرار في الأداء في المراحل الدراسية اللاحقة. هذا البعد هو العامل الرئيس في جعل مرحلة التعليم الابتدائي مرحلة بالغة الأهمية في المنظومة الوطنية للتربية والتكوين، ذلك كون المنهاج الدراسي في مرحلة التعليم الابتدائي من خلال المقررات الدراسية في مختلف المواد الدراسية يتوزع على محاور عدة يمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

- بعض الأنشطة التربوية تستهدف تعديل سلوكات المتعلمين التي اكتسبوها من طرف الاسر بما تتضمنه من قيم وأفكار ووضعها في إطار تشاركي مجتمعي كأداة للتفاعل في الوسط المدرسي على أسس مشتركة وقواعد سلوكية عامة تكون سائدة في المجتمع ككل.
- بعض الأنشطة التربوية تستهدف تعليم الكتابة والقراءة وهما من المفاتيح الرئيسية في عملية التعلم لدى المتعلمين، ويكون التركيز على هذين النشاطين خاصة من السنة الأولى حتى نهاية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي فمع نهاية هذه السنة يفترض ان يكون المتعلم قد اكتسب القدرة على الكتابة والقدرة على القراءة. ويكون قد تخطى كل الصعوبات المتصلة بتعلم هذبن النشاطين ان كان التعلم مفيد ونوعي.
- بعض الأنشطة التربوية التي تؤسس لتنمية القدرة على التفكير والتحليل والحساب والتفكيك والتركيب وتفسير بعض الظواهر الطبيعية والعلاقة بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي الذي يحتضن المتعلمين والعملية التعليمية برمتها، وقد تكون المقررات الدراسية التي تحقق ذلك هي مادة الرياضيات ومادة العلوم وبعض مبادئ العلوم الفيزيائية.

- بعض الأنشطة التربوية التي لها بعد زمني ومكاني قصد ربط المتعلمين بماضي المجتمع وحاضره وافاقه المستقبلية وابراز تميز المجتمع الذي ينتمون اليه من حيث منظومته القيمية والعقيدية ومن حيث تاريخه وجغرافيته التي تحدد انتمائه ووجوده المكاني عبر التاريخ. وقد تكون المواد التي على علاقة وثيقة بهذا الجانب هي مادتي التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية والخلقية والإسلامية.
- وقد تتضمن هذه المقررات الدراسية في هذه المواد ابعاد أخرى كالبعد الوطني الذي يحدد العناصر الرئيسية للهوية الوطنية والشخصية للمتعلمين وتميزهم في إطار تعايشهم وتعاملهم الإيجابي مع المحيط المجتمعي العالمي الذي تحتوي المقررات الدراسية في المراحل التعليمية اللاحقة الأنشطة التربوية التي تعطي البعد العالمي مضمونه.

بعض المواد الرئيسة في مرحلة التعليم الابتدائي وأثرها في التفوق والتميز الدراسي:

ان المقررات الدراسية المتضمنة في المنهاج الدراسي لمرحلة التعليم الابتدائي بصفة شمولية هادفة الى تنمية جوانب متعددة للمتعلمين حتى تتشكل عندهم الشخصية المتوازنة والمتكاملة والمتكيفة مع الذات والمحيط في كل ابعاده الاجتماعية والاقتصادية والقيمية والعقيدية والثقافية. الا انه في تقديري هناك مادتين رئيسيتين هما مفتاح التميز والتفوق الدراسي في كل المراحل التعليمية دون استثناء سواء تعلق الامر بمرحلة التعليم الابتدائي او بقية المراحل الدراسية اللاحقة في السلم التعليمي بما في ذلك مرحلة التدرج الثالثة من التعليم العالي أي مرحلة اعداد وتحضير اطروحات الدكتوراه، وهاتين المادتين الدراسيتين المفتاحيتين هما:

- مادة الرياضيات في مرحلة التعليم الابتدائي والمراحل الدراسية اللاحقة وفروعها المتعددة.
- مادة اللغة في مرحلة التعليم الابتدائي التي ينبغي ايلاءها عناية كبيرة ذلك باعتبار ان اللغة هي أداة التواصل وأداة التبليغ والتحاور والحاملة لكل المعارف سواء العلمية او التنقليةاو المعلوماتية L'informatiqueاو العلوم المتصلة بالألية L'automatisme وكذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وغير ذلك من أصناف العلوم، فكل علم لغة ولا يمكن ابدا ومن المحال ان نتصور علما دون لغة.وتصبح مادة اللغة ذات أهمية بالغة في مرحلة التعليم العالي خاصة في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية والنفسية والإعلامية والسياسية وكل الدراسات المتعلقة بالعلوم الإدارية والقانونية، فلكل تخصص من هذه التخصصات لغته ومصطلحاته، فالمقصود باللغة هو تطبيقاتها النحوية والصرفية وثراؤها المفرداتي والتراكيب والصيغ.

وعليه فمادتي الرياضيات واللغة هما مادتين مفتاحيتين في المناهج الدراسية برمتها من مرحلة ما قبل المدرسة والتربية التحضيرية الى اعلى مرحلة من مراحل السلم التعليمي في الجزائر والعالم.

ان مادة الرياضيات هي التي تؤسس القواعد الرئيسة لجميع التخصصات العلمية والتنقلية والمعلوماتية ومجالات العلوم الطبية والتخصصات المتصلة بها وبغيرها من العلوم كالفيزياء والكيمياء وكل فروع البيولوجيا في مرحلة ما بعد التعليم الثانوي، وان أي ضعف في التكوين في مادة الرياضيات سيجعل الطالب او المنتمي لهذه التخصصات العلمية يعاني ضعفا في الفهم والاستيعاب الدراسيين. ونأمل ان تنصب بحوثا علمية عن هذا الجانب من طرف المختصين في العلوم التربوية وبناء المناهج الدراسية في كل المراحل التعليمية.

ان أهمية مادة الرياضيات ودورها المحوري تجاوز التأسيس للتفوق والتميز في كل مجالات التخصصات العلمية المشار اليها الى مجالات التخصصات الأخرى في العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية والتسييروالرقمنة ومجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية، حيث ان هذه العلوم على اختلافها صارت علوم تنشد كما لها في الرياضيات وذلك بمقاربة دراسة مختلف الإشكالات التي تتناولها واخضاعها للتقدير الكمي الذي يفسر الظواهر ويعبر عن النتائج ويساعد في تفسيرها علميا بكل وضوح في محاولة للارتقاء بنتائج هذه البحوث العلمية في هذه المجالات للتقرب من الدقة والعلمية.

ولعل أهمية مادة الرياضيات ودورها المركزي في كل المناهج الدراسية وفي تفوق وتميز المتعلمين في كل المجالات العلمية والمعارف قد تفطنت له القيادة السياسية الجزائرية متأخرا، لكن كما يقول المثل ان تتفطن متأخرا خير من ان تغفل الى الابد. ان هذا التفطن يتمثل في انشاء المدرسة العليا للرياضيات لتحتضن المواهب والعبقريات التي تظهر من مخرجات مرحلة التعليم الثانوي. ولكي تؤدي مادة الرياضيات دورها ينبغي ان تكون ذات عناية خاصة في المناهج الدراسية من مرحلة التربية التحضيرية وحتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي وان لا تقتصر العناية بهذه المادة العلمية الاستراتيجية على مرحلة التعليم العالي فحسب. ان مادة الرياضيات كي نرفع من دافعية تعلمها واستقطاب أحسن الطلاب ذوي المواهب والقدرات الخاصة العالية لتعلمها ينبغي على نظام التوجيه في التعليم العالي ان يمنحها الأفضلية للولوج الى جميع التخصصات العلمية ذات الأولوية والاهمية، تلك التخصصات المثمنة وذات القيمة اجتماعيا واقتصاديا.

لقد تفطنت تقريبا كل دول العالم الى الدور الرئيس لمادة الرياضيات وأهميتها في المناهج الدراسية كمادة مفتاحية تستند عليها جميع التخصصات العلمية والهندسية في كل مجالات العلوم على اختلافها

وتعدد وتشعب فروعها، وهذا ما جعلها تحوز اهتماما خاصا حتى لدى بعض الدول العربية، وهذا ما بينه مراد جرداق في مقال له بعنوان «تقنية التعليم واثرها في تطوير مناهج الرياضيات في البلدان العربية» وان كان المقال يتمحور أساسا حول استخدام الوسائل التعليمية الحديثة والمعاصرة في الرفع من مستوى التحصيل الدراسي عند المتعلمين في مادة الرياضيات كالراديو والتلفزيون والشاشات الالكترونية وغير ذلك من أدوات التواصل والاتصال التنقلية، الا ان اختيار مادة الرياضيات كمجال اهتمام وميدان لتطوير قدرة الاستيعاب لدى المتعلمين امر في حد ذاته غاية في الأهمية «... وقد اختير حقل الرياضيات ليكون ميدانا لمشاريع مشتركة بين البلاد العربية تهدف الى تطوير المناهج وتوحيد أسسها وتوجيهها نحو حاجات الاعداد المتزايدة من الطلاب وحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية »(المنظمة العربية للتربية والثقافة، 1981، ص 163).

تشير الدراسة السالفة الذكر للأستاذ مراد جرداق الى ان استخدام الوسائل التعليمية الحديثة في تدريس مادة الرياضيات او ما يسمى بتكنولوجيا الاتصال في العلوم التربوية يمكن ان تحقق عدة اهداف تخص مادة الرياضيات وزيادة التحصيل الدراسي لمحتواها عند المتعلمين ومن اهم ما تجسده الافلام ما يلي:

- «فتوفر الأفلام عنصرا هاما من عناصر التشويق في تدريس الرياضيات بما تؤمنه من استخدام للصورة والحركة والصوت من اثارة للاهتمام بمواضيع الرياضيات وربطها بالنواحي الدينامية من البيئة... كما توفر الأفلام في بعض الأحيان خبرات لا يمكن الحصول عليها في غرفة الصف، فدراسة خصائص الاشكال في الفراغ الثلاثي الابعاد تصبح سهلة وممتعة من خلال الافلام»(المنظمة العربية للتربية والثقافة، 1981، ص 163)

ان الوسائل في التعليمية وكل أدوات تكنولوجيا الاتصال في العلوم التربوية أهدافها وغاياتها الأساسية تتمثل في تثبيت المعلومات والمعارف العلمية وترسيخها في اذهان المتعلمين عن طريق اثارة اهتمامهم واذكاء عنصر تشويق المادة العلمية وتوضيحها وتبسيطها لتكون أساسا في متناول قدراتهم العقلية، وفي ذات الوقت تشكل خبرة علمية ومعرفية لديهم لتطوير وتنمية قدراتهم العقلية والفكرية ذاتها.

الخاتمة

إن التربية بمفهومها الشمولي هي أساس رئيس في تنمية قدرات المتعلمين في مختلف الجوانب وهي لم تعد مجرد خدمة تقدم للمجتمع عبر عدة مؤسسات رسمية اوجدها المجتمع ذاته انطلاقا من مرحلة ما قبل المدرسة او ما يسمى في السلم التعليمي الجزائري مرحلة التربية التحضيرية التي مدتها تتراوح بين سنة وسنتين

حيث يستفيد من هذه التربية الأطفال الذين أعمارهم ما بين(04 و05 سنوات)ثم تلي هذه المرحلة مباشرة مرحلة التعليم الابتدائي التي مدتها 05 سنوات وهي المرحلة الأساسية والقاعدية للمنظومة الوطنية للتربية والتكوين بالجزائر والتي ينتسب اليها اكبر كم من التلاميذ المتمدرسين وهي المرحلة الدراسية التي تمد كل المراحل الدراسية التالية لها بمخرجاتها من المتعلمين لذلك تعتبر مرحلة بالغة الاهمية.

ان التربية بما تمنحه للمتعلمين المتخرجين من مختلف المراحل الدراسية من معارف علمية ومهارات وخبرات تؤهلهم للاندماج في المجتمع وفي حركية التنمية الاقتصادية وغيرها تعد الخزان الذي يقدم للمجتمع العنصر البشري المؤهل للإشراف والتسيير في مختلف مجالات الحياة باعتبار التربية لم تعد تتصف بانها قطاع خدماتي فحسب بل انها استثمار له عائد، وهذا ما حفز الكثير من المهتمين باقتصاديات التعليم الى اظهار القيمة الاقتصادية للتربية في المجتمعات الأكثر تطورا وتقدما لكونها الجهاز المسؤول بكيفية مباشرة على التنمية البشرية التي هي أساس التنمية الاقتصادية، ولعل هذا هو البعد الذي حفز الى تناول بعض المسائل التي تتصل بتطوير إمكانات المتعلمين وقدراتهم وان كان ذلك مرتبطا بنضجهم الجسمي او بنمو قدراتهم العقلية المتنوعةوانتهاء بالتركيز على بعض المواد الدراسية المفتاحية في عملية التكوين مرورا بتحليل موجز للعناصر الرئيسة المكونة للعملية التعليمية وبعض النظريات التربوية التي تتناول كيفيات التعليم والتعلم وأهمية العناصر المؤثرة فيها، والفعل التشاركي والتفاعل بين هذه العناصر لإضفاء الفعالية على مكونات العملية التعليمية خدمة للتعلم والارتقاء بمستوى التحصيل المدرسي لبلوغ التفوق والتميز والابداع والابتكار.

قائمة المراجع:

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1981، المجلة العربية للتربية، العدد الأول.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، 1987، التربية البناءة للأطفال.
- عبده فليهفاروق ، 2007، اقتصاديات التعليم، دار المسيرة، عمان، الأردن. ط 2.
- سيد خير الله، 1981، علم النفس التربوي اسسه النظرية والتجريبية، دار النهضة المصرية، القاهرة، مصر..
- حذيمحمد أحمد وآخرون، 2002، مهنة التعليم وأدوار المعلمين فيها»، شركة الجمهورية الحديثة لتحويل وطباعة الورق. الإسكندرية، مصر.
- فالوقيمحمد هشام، 1991، بناء المناهجالتربوية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، مصر.
- John Dewey, 1983, Démocratie et éducation. Nouveaux Horizons. Mai 1983.
- John Dewey, 1899, The School and Society: Being three lectures.